﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾

[الروم: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العِنادُ يَتَطَلَّبُ الوقوفَ بحزمٍ وصبرٍ أمامَ هؤلاءِ الكُفّارِ المعاندينَ

لمّا بالغَ الكُفّارُ في عنادِهم أمامَ دعوةِ الإسلامِ وفي إنكارِهم للبعثِ، حتَّى طبَعَ اللّهُ على قلوبِهم فلا يقْبَلونَ هُدًى، وكانَ ذلكَ مُحزِنًا لقلبِ النَّبيِّ ﷺ؛ أرشدَه سبحانَه أنَّ موقفَ العِنادِ يَتَطَلَّبُ الوقوفَ بحزمٍ وصبرٍ أمامَ هؤلاءِ الكُفّارِ المعاندينَ، فأمَرَه سبحانَه أنْ يعتصمَ بالصبرِ على أذى المشركين، وبمتابعة تبليغ رسالته، وقوّى اللّهُ نفسَه بتحقيقِ الوعدِ، فإنَّ وعدَ اللّهِ الذي وعَدَ به نبيَّه بالنَّصرِ حقٌّ ثابتٌ لا شَكَّ فيه، ولا بُدَّ من إنجازِه وإنفاذِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: (صبر) أُصولٌ ثَلاثَةٌ، الأوَّلُ الحَبْسُ، والثّاني أعالي الشَّيْءِ، والثّالثُ جِنْسٌ مِنَ الحِجارَةِ، فالصَّبْرُ: الحَبْسُ، يُقالُ: صَبَرْتُ نَفْسي على ذَلكَ الأمْرِ، أيْ حَبَسْتُها، والمَصْبورَةُ المَحْبوسَةُ على المَوْتِ[1]، والصَّبْرُ: الإمساكُ في ضيقٍ، وهو حبسُ النَّفسِ على ما يَقْتَضيه العقلُ والشرعُ، أو عمّا يقتضيان حبسَها عنه، فالصَّبْرُ لفظٌ عامٌّ، وربّما خولفَ بيْنَ أسمائِه بحسب اختلافِ مواقِعِه، فإن كانَ حبسَ النَّفسِ لمصيبةٍ سُمّيَ صَبرًا لا غيرَ، ويُضادُّهُ الجزعُ، وإن كانَ في مُحارَبَةٍ سُمّيَ شجاعةً، ويضادُّه الجبنُ، وإن كانَ في نائبةٍ مُضْجِرَةٍ سُمّيَ رُحْبَ الصَّدْرِ، ويُضادُّهُ الضَّجَرُ، وإن كانَ في إمساكِ الكلامِ سُمّيَ كِتْمانًا، ويضادُّه المَذَلُ، وقد سَمَّى اللّه تعالى كلَّ ذلكَ صبرًا[2]، والصبرُ صبرانِ هُما عُدَّتانِ للإيمان: الصَّبْرُ على طاعَة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبر).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (صبر).

اللّهِ وما أمره، والصَّبْرُ عَن مَعْصيةِ اللّهِ جلَّ ثَناؤُهُ وما نهَى عَنهُ[1]، والمرادُ بالأمر ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ الإرشادُ إلى حملِ النَّفْسِ على تَحَمُّلِ أذى المشركينَ وعصيانِهم وإنكارِهم.

2) ﴿يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾: (خفّ) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو شَيْءٌ يُخالِفُ الثِّقَلَ والرَّزانَةَ، يُقالُ خَفَّ الشَّيْءُ يَخِفُّ خِفَّةً، وهو خَفيفٌ وخُفافٌ، وخَفَّ القَوْمُ: ارْتَحَلوا[2]، واسْتَخَفَّ: اسْتَفْعَلَ من (خفف)، واسْتَخَفَّ فلانٌ بحقّي: إذا استهان بِهِ، واسْتَخَفَّهُ الفرحُ: إذا ارْتاحَ لأمرٍ، واستَخفَّه فلانٌ: إذا استجْهَلَهُ فَحَمَلَه على اتِّباعِه في غيِّه[3]، ومعنَى استخفّ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ [الزخرف: 54]، أيْ: حَمَلَهُم أنْ يَخِفّوا مَعَهُ، أو وجَدَهُم خِفافًا في أبْدانِهم وعزائِمِهم، وقيل: معناه وجَدَهُم طائِشينَ[4]، والمرادُ بالاستخفافِ في قولِه ﷻ: ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، أيْ: لا يَجُرُّنَكَ إلى الخِفَّةِ وعدمِ الصَّبرِ والثباتِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بالصّبرِ واليقينِ يَتَحَقَّقُ النصرُ وتبلغُ دعوةُ الحقِّ العالمين

أمرَ اللّهُ نَبيَّهُ أن يعتصِمَ بالصَّبرِ على أذى المشركينَ، وبمتابعةِ تبليغِ رِسالَتِه، وقَوَّى اللّهُ نفسَه بتحقيقِ الوعدِ، فإنَّ وعدَ اللّهِ الَّذي وعدَكَ به أيُّها النبيُّ مِنْ نَصرِه إيّاكَ علَيهِم، حقٌّ ثابتٌ لا شكَّ فيه، ولا بُدَّ من إنْجازِهِ وإنْفاذِه، ثُمَّ نَهَى اللّهُ نَبيَّهُ عن الانْفِعالِ والاهتزازِ لكلامِ المشركينَ، أو التَّحَرُّكِ واضطرابِ النَّفْسِ لأقوالِهِم، إذْ هُم لا يَقينَ لَهُم ولا بَصيرةَ، فلا يَحملنَّكَ شيءٌ على الخِفَّةِ والطَّيْشِ، والقَلقِ، جزعًا من أقوالِهِم وأفعالِهِم، فإنَّهُم قومٌ ضالّونَ، وتابِعْ أداءَ رِسالَتِك، فإنَّها رسالةُ الحقِّ والنّورِ والخيرِ والاستقامةِ، ولا يَسْتَفِزَّنَّكَ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (صبر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبر).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (خفف).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (خفف).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (خفف).

الذينَ لا يوقنونَ باللهِ ولا باليومِ الآخرِ، فاللهُ ناصرُكَ وحافظُكَ من النّاسِ، وخاذِلُهُم وهازِمُهُم هزيمةً مُنْكَرةً، وفي ذلك كلِّه تسليةٌ له ﷺ وطمأنةٌ لنفسه ولأمَّته من بعده.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى (الفاءِ) في جملةِ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾:

جاءتِ الفاءُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾؛ للدلالةِ على التفريعِ، إذِ الأمْرُ لِلنَّبيِّ ﷺ بِالصَّبْرِ تَفَرَّعَ عَلى جُمْلَةِ ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ﴾؛ لِتَضَمُّنِها تَأْييسَهُ مِن إيمانِهِمْ[1]، فجاءتِ الآيةُ الكريمةُ طمأنةً لقلبِه ﷺ بأنَّه سبحانَه ناصِرُه ومؤيدُه بتأييدِه المتينِ، حتَّى وإن اتَّهَمَه هؤلاء المكذبون بالإبطالِ والتزويرِ.

سُنَّةُ اللهِ ماضيةٌ بنصرِ عبادِهِ المؤمنين وخذلانِ أعدائه

غرضُ الأمرِ ونكتَتُه في قولِه: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾:

جاء الأمرُ في قولِ الله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ إرشادًا من الله تباركتْ آلاؤُه لنبيِّه ﷺ إلى فضيلَةِ الصَّبْرِ، وتسليَةً لخاطِرِه، بأنَّ تكذيبَهُم وعنادَهُم لنْ يؤثِّرَ شيئًا في مسيرةِ دعوتِه الكريمةِ، فكما كانتِ البشارةُ في أولِ السورةِ بانتصارِ الروم أصحابِ الكتابِ على الوثنيّينَ من الفرسِ، فإنَّه سبحانَه هَهُنا يَعِدُه في آخرِ السورةِ الكريمةِ بالنَّصرِ على المشركينَ المعاندينَ، ذلك أنَّ الصَّبْرَ على عنادِهم وتكذيبِهم هو سبيلُ النَّصرِ والغلَبَةِ عليهم، فبالصَّبْرِ الجميلِ يهونُ كلُّ عسيرٍ، وبِهِ يَسْلَسُ الشامِسُ الحرونُ، وينقادُ الأبيُّ العنيدُ، والمرادُ: فتَحَمَّلْ مشاقَّ الدعوةِ ومرارة التَّكذيبِ بقلبٍ متينٍ وصدرٍ رحبٍ، ولا تفْتَرْ عنِ الإنذارِ والتَّبليغِ فستكونُ العاقبَةُ لك ولأتباعِك عليهم.

العاقبة للنَّبيِّ ﷺ وأتباعه من أهل الإيمان إذا لم تفتر همتهم عن الدعوة

لطيفةُ الإفرادِ بالأمرِ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾:

جاء الأمرُ في قولِ الله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ للنبيِّ ﷺ

في إفرادِ الأمرِ تشريفٌ لمقامِ النبي الكريم وتسليةٌ لَهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 136.

أصالةً، إذ هو المقصودُ بالخطاب ولأمَّتِه من بَعدِه تبعًا له، إذ المرادُ التشريعُ للأمَّةِ كلِّها، وفي إفرادِ الأمرِ له تشريفٌ لمقامِه الكريم، وتسليةٌ له عمّا لاقاه من تكذيبٍ وعنادٍ من هؤلاء المشركين المجرمين، وكذلك فقد أفردَ النَّظْمُ الحكيمُ الفعلَ لدلالةِ الاقتداءِ به ﷺ، فإنَّ المرادَ هَهُنا أيضًا التَّشْريعُ لِأُمَّتِه[1].

نكتةُ حذفِ متعلق الفعل: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾:

متعلقاتُ الصَّبرِ كثيرةٌ متنوعةٌ لا حصرَ لها

حذفَ النَّظْمُ الكريمُ مفعولَ الفعلِ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾؛ للدلالةِ على عمومِ الأمرِ بالصبرِ في حقِّ النبيِّ ﷺ وأمَّته، إذ متعلقاتُ الصَّبرِ كثيرةٌ متنوعةٌ لا حصرَ لها، والمرادُ: اصْبِرْ عَلى مَكارِهِهِمْ مِنَ الأقْوالِ الباطِلَةِ والأفْعالِ السَّيِّئَةِ[2]، فإنَّ اللهَ ناصِرُك عليهم.

علّةُ فصلِ جملةِ ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ عَمّا قَبْلَها:

الجملةُ تَأنيسٌ لِلنَّبي ﷺ بِتَحْقيقِ وعْدِ اللَّهِ بِنَصْرِهِ وتمكينِه

فصلَ النَّظْمُ الحكيمُ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ عن قولِه: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ وذلكَ لكمالِ الانقطاعِ بلا إيهامٍ بينَهُما، إذ جاءت الجملةُ الأولى إنشائيَّةً، وكانتِ الأُخرَى خبريةً؛ ويمكن أن يكون الفصل لشبه كمال الاتّصال جوابًا عن سؤالٍ مقدّرٍ: لم الأمر بالصّبر؟ فالجملة تَعْليلٌ لِلْأمْرِ بِالصَّبْرِ، وهو تَأنيسٌ لِلنَّبي ﷺ بِتَحْقيقِ وعْدِ اللَّهِ بنصره والانْتِقامِ مِنَ المُكَذِّبينَ[3].

دلالة التوكيد في قوله: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾:

التوكيدُ ترسيخٌ للإيمانِ بِنصرِ اللهِ لنبيِّه في أذهانِ المؤمنينَ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ أكَّدَ النَّظْمُ الحكيمُ بأداةِ التوكيدِ ﴿إِنَّ﴾؛ وذلكَ لتأكيدِ نصرِ اللهِ لنبيِّه ﷺ في مواجهةِ افتراءاتِ المكذِّبينَ عليه وعلى رسالَتِه، ولتثبيتِ رسوخِ هذا الوعدِ في أذهانِ المؤمنينَ لتقرَّ نفوسُهم.

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 6/ 543.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 20/ 500.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 136.

لَطيفةُ إضافةِ الوعدِ إلى اسمِ الجلالةِ ونكتةُ إظهارِه:

تعظيمُ رجاءِ تحَقُّقِ النَّصرِ من عاجلِ البُشرياتِ للنبيِّ والمؤمنينَ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أضافَ النِّظْمُ الحكيمُ الوعدَ إلى اسمِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾، وذلكَ لتعظيمِ رجاءِ تحَقُّقِ النَّصرِ للنبيِّ ﷺ والمؤمنينَ، وفي ذلكَ توكيدٌ لتحَقُّقِ الوعدِ بالنَّصرِ على المشركين، وأظْهَرَ النَّظْمُ الحكيمُ الاسمَ الأعظمَ ولم يضمره، فلم يقل: (إن وعدَه حقٌ)، وفي ذلك إظهارٌ لاقتداره سبحانَه على تأييدِ النبيِّ بالنَّصرِ والتمكين[1].

براعةُ التَّذكيرِ بـ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ للمؤمنينَ:

التَّذكيرُ بوعدِ اللهِ للمؤمنينَ دونَ وعيدِه للكافرينِ إظهارٌ لكريمِ وعدِه سبحانَه

آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التَّذكيرَ بوعدِ اللهِ للمؤمنينَ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ دون وعيدِه للكافرينِ، إظهارًا لكريمِ وعدِه سبحانَه، بعدَ أنْ توعَّدَ الكافرينَ مرارًا في الآياتِ السابقاتِ بشِدَّةِ العذابِ في الآخرَةِ، وبعدما أبانَ عن فَزَعِهم وتَخَبُّطِهم يومَ البعثِ، فآثَرَ في ختامِ السورةِ أن يُفرِدَ الوعد للمؤمنين ليكونَ تتميمًا لما بدأته السورةُ من البُشْرَى بنصرِ بعضِ أهلِ الكتابِ على بعضِ المشركينَ.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿حَقٌّ﴾:

وعدُ اللهِ وعدٌ يُطابِقُهُ الواقِعُ كما يَكْشِفُ عَنْهُ الزَّمانُ

وصفَ النَّظْمُ الحكيمُ الوعدَ بأنه وعدٌ حقٌّ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، والمرادُ به الوعد الثابتُ، إذ (الحَقُّ) مَصْدَرُ حَقَّ يُحِقُّ بِمَعْنى ثَبَتَ، فالحَقُّ: هو الثّابتُ الَّذي لا رَيْبَ فيهِ ولا مُبالَغَةَ[2]، فهو وعدٌ حقٌّ ثابتٌ جِدًّا يُطابِقُهُ الواقِعُ كَما يَكْشِفُ عَنْهُ الزَّمانُ، وتَأتي بِهِ مَطايا الحَدَثانِ[3]، وأفاد التّنكير هنا معاني التّفخيم والتّعظيم، فوعد اللهِ ﷻ شأنه كذلك.

غرضُ توكيدِ الخبرِ في ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾:

تقويةُ عزائمِ المؤمنينَ بتعدُّدِ أساليبِ التوكيدِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أكَّدَ النِّظْمُ الحكيمُ بمؤكِّدين، الأول أداة التوكيد ﴿إِنَّ﴾، والآخر التوكيدُ بالجملة الاسمية التي تفيدُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 137.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 136.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 137.

الثَّباتَ والتقريرَ، رُغْمَ أنَّ المخاطبَ في ظاهرِ النَّظْمِ هو رسولُ اللّه ﷺ، وهو غيرُ منكرٍ لوعدِ اللّه بالنصرِ، بلْ هو ﷺ أولُ الموقنينَ بوعدِ اللّهِ سبحانَه، والغرضُ من الإتيانِ بهذينِ المُؤَكِّدينِ هو تأنيس اللّه لنبيِّه ﷺ في مواجهةِ افتراءات المكذِّبينَ عليْهِ وعلى رسالَته، وتقويةُ عزائم المؤمنينَ بتعدُّدِ أساليب التوكيدِ، وعبّر بالوعد لإفادة رجاءِ التحقّق؛ لأنَّ إنْفاذَ مِثْلِ ذَلِكَ في مَحَلِّ الإنْكارِ، لِعِظَمِ المُخالِفينَ وكَثْرَتِهم[1].

نكتة التعبير بلفظ الاستخفافِ:

الإرشـــادُ إلى الاسْـتِـمـرارِ في التَّلبيغِ مَعْلَمٌ دَعَويٌّ بارِزٌ

نهى النَّظْمُ الحكيمُ عن التعجّلِ، وعبر بالفعل المضارع ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ للدلالةِ على تَجدُّدِ النهي واستمرارِه، فالأمَّةُ الإسلاميةُ والدعاةُ منْهُم على وجْهِ الخُصوص مأمورونَ في شخصِ النبيِّ ﷺ بعدمِ الخِفَّةِ والاضطرابِ والقلقِ، إذ لا يَضيرُ الدّاعية إلى ربِّهِ أن يَقِفَ الكافرُ الجاحِدُ موقفَ العنادِ والتَّكَبُّرِ، أو السُّخْريةِ والاستهزاءِ.

دلالة زيادة السين والتاء في قوله: ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾:

شدَّةُ النهي عن الاسْتِخْفافِ من هدي الله لنبيِّهِ وللمؤمنينَ

جاء الفعلُ ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ على وزنِ (يَسْتَفْعِلَنَّكَ)، وأصل الفعل (اسْتَخَفَّ)، على وزنِ (اسْتَفْعَلَ)، وهي منْ صيَغِ الأفعالِ المزيدةِ، فقدْ زيدَت السّينُ، والتاءُ، والأصلُ في هذهِ الصّيغةِ أنْ تكونَ لطلبِ الشَّيْءِ وتَحْصيلِه بالطَّلبِ، وفي استعمالِ النَّظْمِ للفعلِ على هذهِ الصّيغةِ دلالةٌ على المبالغةِ في نَهي الرَّسولِ عَنْ أن يَستَخِفَّهُ الَّذينَ لا يوقِنونَ، وهو نَهْيٌ عَنِ الخِفَّةِ الَّتي من شَأنِها أنْ تَحْدُثَ لِلْعاقِلِ إذا رَأى عِنادَ مَن هو يُرْشِدُهُ إلى الصَّلاحِ، وذَلِكَ ممّا يَسْتَفِزُّ غَضَبَ الحَليمِ، وأسْنَدَ الاسْتِخْفافَ إلَيْهِمْ عَلى طَريقَةِ المَجازِ العَقْليِّ؛ لأنَّهم سَبَبُهُ بِما يَصْدُرُ من عِنادِهِمْ[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 137.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 135.

وأكدَّ النَّظْمُ الفعلَ ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ بنون التوكيد الثقيلة، فَكَأَنَّهُ قيلَ: لا تَخِفَّنَّ لَهم جَزَعًا، وفيه مِن إرْشادِهِ تَعالى لِنَبيِّهِ ﷺ وتَعْليمِهِ سُبْحانَهُ لَهُ كَيْفَ يَتَلَقّى المَكارِهَ بِصَدْرٍ رَحيبٍ ما لا يَخْفى[1]، ذلكَ أنَّ المشركينَ حريصونَ على تعويقِه ﷺ عن أداء رسالتِه، ومن هُنا كانَ للنهيِ الإلهيِّ دلالتُه القاطِعةُ على رعايةِ اللّهِ لِنَبيِّه الكريمِ وحوطِه وحفظِه.

توجيهُ القراءاتِ الواردةِ في ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾:

تَكامُلُ القراءاتِ في تأصيلِ المعاني من إعجازِ البلاغِ القُرآنيِّ

في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ قرأ الجَماعَةُ بنون التوكيدِ الثَّقيلَةِ، وفي روايَةِ رويْسٍ عَنْ يَعْقوبَ بالخَفيفَةِ، فَقِراءَةُ الجَماعَةِ مُصَوَّبَةٌ إلى أصْلِ الدّينِ، أيْ لا تَفْعَلْ مَعَهم فِعْلًا يُطْمِعُهم في أنْ تَميلَ إلَيهم فيهِ، وقِراءَةُ رويْسٍ إلى نَحوِ الأمْوالِ فَإنَّهُ كانَ يَتَأَلَّفُهم بالإيثارِ بها، ولا شَكَّ أنَّهُ إذا آثَرَهم عَلى أكابِرِ المُسْلِمينَ أطْمَعَهم ذَلِكَ في أنْ يَطْلُبوا أنْ يَميلَ مَعَهُمْ، وما أفادَ هَذا إلّا تَحْويلُ النَّهْيِ، ولَوْ قيلَ: لا تَخِفَّنَّ مَعَهُمْ، لَمْ يُفِدْ ذَلِكَ، ولا يُقالُ عَكْسَ هَذا مِن أنَّ النَّهْيَ في الثَّقيلَةِ أخَفُّ؛ لأنَّهُ نُهيَ عَنِ الفِعْلِ المُؤَكَّدِ فَيَبْقى أصْلُ الفِعْلِ، وكَذا ما صَحِبَهُ تَأكيدٌ خَفيفٌ، وفي الخَفيفَةِ غَيْرُ المُؤَكَّدِ تَأكيدًا خَفيفًا فَلا يَبْقى غَيْرُ أصْلِ الفِعْلِ فَهو أبْلَغُ[2].

عِلَّةُ التعبيرِ بالموصولِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

افتقادُ اليقينِ سمةٌ ثابتةٌ في المشركينَ يُعرفونَ بها

عبَّرَ النّظْمُ الحكيمُ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، ولم يُعَبِّر باسمِ الفاعل، كأنْ يقول: (غيرُ الموقنين)، وذلكَ لأنَّ المرادَ في الآيةِ الكريمةِ الإشارةُ إلى أنَّ عدمَ اليقينِ قدْ صارَ سِمَةً ثابتةً لهؤلاءِ المكذبينَ المعاندينَ، فهُم يُعرَفونَ بها، وتَبْدو عَلَيهِم أماراتُها، وتُشيرُ إليهِم دلائِلُها، فامتلأتْ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 20/ 501.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 138، وابن الجزري، النشر: 2/ 246.

نفوسُهم بالشك، وعقولُهم بالارتياب، فأُشيرَ إليهم بهذه الصفةِ، وجاءَ استعمالُ الموصولِ مُعَبِّرًا عن هذه السمةِ المَعيبَةِ.

لطيفة حذف متعلق الفعل ﴿يُوقِنُونَ﴾:

حذفَ النَّظْمُ الكريمُ مفعولَ الفعلِ ﴿يُوقِنُونَ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ للدلالةِ على عمومِ تخَبُّطِهم واضطرابِهم، إذ متعلقاتُ نَفْيِ الإيقانِ كثيرةٌ متنوعةٌ لا حصرَ لها، والمرادُ: أنَّهم لا يوقِنونَ بالأُمورِ اليَقينيَّةِ، أي الَّتي دَلَّتْ عَلَيْها الدَّلائِلُ القَطْعيَّةُ، فَهم مُكابِرونَ[1].

متعلقاتُ نَفْيِ الإيقانِ كثيرةٌ متنوعةٌ لا حصرَ لها

براعة الجمع بين الأمر والنّهي:

جمعتِ الآيةُ الكريمةُ في كلماتٍ قلائل على أحسنِ وجوه الاتصالِ والانسجامِ والتلاؤمِ بين الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، وعطفَتْ عليه بالخبرِ في قولِه سبحانَه: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، وختمتْ بالنهي في قولِه ﷻ: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، وفي ذلك الجمع السَّلِس والبيان الناصع دلالةٌ ظاهرةٌ على إعجازِ القرآنِ العظيمِ وحسنِ بيانِه، حتَّى إنَّه ليجْمَعُ بين الأمرِ والنهي والخبرِ في سياقٍ واحدٍ ببلاغةٍ آسرةٍ، وفيه كذلك حسنُ تلخيصٍ للسورةِ الكريمةِ التي تناولتْ ضروبًا كثيرةً من الأوامرِ والنواهي والأخبارِ، فكأنَّ الآيةَ الكريمةَ تلخيصٌ للسورةِ الشريفةِ كلِّها، بل يمكنُ القولُ بشيءٍ من التَّجَوُّزِ إنَّ هذه الآيةَ تُلَخِّصُ أساليبَ القرآنِ، فالقرآنُ إمّا أمرٌ أو نهيٌ أو إخبارٌ.

الجمعُ السَّلِسُ لأساليبِ العَرَبيَّةِ دلالةٌ ظاهِرةٌ على إعجازِ القرآنِ العظيمِ

بلاغة ردّ عجزِ السّورةِ الكريمةِ على صَدْرِها:

اختَتَمَ النَّظْمُ الكريمُ السورة بالحديثِ عنِ النهي عن الاستجابةِ لاستخفافِ الكافرينَ وغيرِهم من الَّذينَ لا يوقِنونَ بالبعثِ واليومِ الآخرِ، وذلكَ بعدَ أن افْتَتَح السورة بالإخبارِ بالغيبِ الذي لا يعلمه

الإيمانُ بالغيبِ والبعثِ وجهانِ لعملةٍ واحدةٍ هي الإيمانُ بالله

(1) الآلوسي، روح المعاني: 20/ 500.

إلا اللّه إقامةً للحُجَّة على صدق رسول اللّه ﷺ، وأنَّه لا ينطق عن الهوى، إذ الإيمانُ بالغيب والبعثِ وجهانِ لعملةٍ واحدةٍ، هي الإيمانُ باللّه ﷻ، فانْعَطَفَ آخِرُ السورةِ عَلى أوَّلِها[1]، إذ السورةُ كُلُّها إثباتٌ للبعثِ بالبراهين العقليَّةِ والآياتِ الربانيَّة، فَمَنَ أصْغَى لنداءِ العقلِ الحُرِّ السَّويِّ، وتَأمَّلَ في خزائنِ الكونِ وأسْرارِه، وحاكَمَ مُحاكَمَةً عَقليَّةً سريعةً في ربطِ الأشياءِ بأسبابِها، سَهُلَ عليهِ الانْصياعُ لقواعدِ الإيمانِ الصَّحيحةِ، ومنْ وجَدَ حلاوةَ الإيمانِ في قلبِه، بادَرَ إلى توسيعِ آفاقِ المَعرفَةِ باللّهِ وأسمائِه وصفاتِه، وسارعَ إلى طاعةِ اللّهِ في كُلِّ مأمُوراتِه ومَنْهيّاتِه، وحينئذٍ يجدُ السعادةَ والطمأنينةَ تغمرُ قلبَه، وتُفيضُ عليهِ بالفيوضاتِ الإلهيَّةِ السخيَّةِ سخاءً لا حدودَ لَه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصَّبْرُ والرِّضا:

الصَّبْرُ كَفُّ النَّفْسِ وحَبْسُها عنِ التَّسَخُّطِ وأمّا الرِّضا فيوجبُ انشراحَ الصَّدرِ

الصَّبْرُ حبسُ النَّفسِ عنِ مُقابلَةِ الشَّر بالشَّر، سواءٌ أكانَ بالقَوْل أو بالفعْل، والصَّبْر عَن الشَّيْء يُفيد حبس النَّفس عَن فعلِه، والصَّبرُ كَفُّ النَّفْسِ وحَبْسها عنِ التَّسَخُّطِ مع وجودِ الألم، والرِّضا يوجبُ انشراحَ الصَّدرِ وسَعَته، وإن وُجِدَ الإحساسُ بأصلِ الألم، لكنَّ الرِّضا يُخَفِّفُ الإحساسَ بالألمِ لما يُباشِرُ القلبَ منْ رَوْحِ اليَقينِ والمَعرفةِ، وقد يُزيلُ الإحساسَ بِه بالكليَّةِ[2]، ولمّا كانَتِ القضيةُ تدورُ حولَ تَحَمُّلِ أذَى الكُفّارِ دونَ الرِّضا بما هُم عليه من ضلالٍ وفسادٍ في الاعتقادِ؛ فقد استعملَ النَّظْمُ الحكيمُ الصبرَ دون الرِّضا.

الاستخفافُ دعوةٌ للطيشِ والاستفزاز حثٌّ وتحريكٌ والاستهزاء تحقيرٌ

الاسْتِخْفافُ والاسْتِفْزازُ والاستهزاءُ والاستهانةُ:

استَخفَّ فُلانٌ فُلانًا إذا استجْهَلَهُ فَحَمَلَه على اتِّباعِه في غيِّه، حتَّى يكون به منَ الطَّيش والرُّعونةِ ما لا يُحمدُ، والمرادُ بالاستخفافِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 138.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 201، وابن رجب الحنبلي، نور الاقتباس، ص: 150.

في الآيةِ الحملُ على الخِفَّةِ وعدمِ الصَّبرِ والثباتِ[1]، وأمّا الاستهزاءُ فهو تصغيرُ من قُصِدَ به، وتحقيرُه، ويكونُ بالقولِ أو بالفعلِ، أو بالإشارةِ أو العبارة، أو بالكتابَةِ أو الخطابةِ، ويكونُ تصريحًا أو تلميحًا، تحقيقًا أو تلفيقًا، وهو كذلك صُدورُ ما يدعو لانتقاصِ شأن المقصودِ به من المستهزئِ، بوجودِ المقتضي أو بعَدَمِه، بغرض تحقيرِهِ أو التنفيرِ منه أو كليهما، والاستهانةُ هي التوهينُ والتقليلُ من شأن المقصودِ بها، والاستفزازُ تحريكٌ وحثٌّ وتهييجٌ لاتِّباعِ الغرائزِ والشَّهوات أو للهرب[2]، وقد آثرَ النَّظْمُ الحكيمُ استعمالَ الاستِخفافِ؛ لأنَّ مرادَ الكُفّارِ هو اتباعِ النبيِّ لهم بترك دعوتِهم للحقِّ.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي، والراغب، مفردات القرآن: (خفف).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254، والراغب، مفردات القرآن، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (فزز) و(هزأ) و(هون)، ومجموعة من المؤلفين، موسوعة التفسير الموضوعي: (الاستهزاء).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»